الجزء الخامس والعشرون — سورة الشورى

سُورَةُ الشُّورَىٰ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ
ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ
وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي
ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ
﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ
حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي
ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن
يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ
ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

٤٨٣

سورة الشورى

سورة الشورىٰ مكيّة وآياتها ثلاث وخمسون آية.

[١-٢] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٣] يخبر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ وأمته أنه كما أوحىٰ إليه هذا القرآن العظيم الذي اشتمل علىٰ التوحيد وجميع أركان العبادة التي خلق الخلق من أجلها؛ فكذلك هو الذي بفضله وإحسانه حمَّل الرسل السابقين لأممهم مثل هذا النور والهدىٰ الذي تحمله هذه السورة وهذا القرآن؛ فكرمه سبحانه شامل وإحسانه عام، فلست يانبي الله بدعًا من الرسل السابقين، واعلم أن الذي أنزل عليك هذا القرآن والذي أنزل الكتب السابقة علىٰ الأنبياء من قبلك؛ هو الله العزيز الذي لا يغلبه غالب، الحكيم في كل أقواله وأفعاله.

[٤] ثم أخبر جل وعلا بأن جميع المخلوقات والعلوية والسفلية خلقه وملكه، وأنه جل شأنه عليٌّ بذاته وصفاته وأفعاله، وأنه العظيم الذي له العظمة والكبرياء؛ فليس كذاته ذات وليس كصفاته صفات، وأكثر الفرق لا تثبت علو الذات، وتقول: علو القدر والمكانة.

[٥] ثم أخبر جل وعلا أن من عظمته وإجلاله وكثرة الملائكة ما بين ساجد وقائم تكاد كل سماء تتفطر علىٰ التي تحتها كما في الحديث الذي رواه أحمد: «**أطَّت السماء وحق لها أن تئط...**»[1]؛ فهي تكاد من كثرة ما عليها تتشقق علىٰ التي تحتها، ومن عظمته أن الملائكة يقدسونه وينزهونه عما لا يليق به، وأنهم يستغفرون لمن في الأرض جميعًا مؤمنهم وكافرهم وفاسقهم طمعًا في إيمان كافرهم وتوبة فاسقهم، واعلموا أن الله هو الواسع المغفرة والرحمة لمن يشاء من عباده، فلولا مغفرته ورحمته لعاجل الخلق بالعقوبة التي تستأصلهم.

[٦] واعلم يانبي الله أن الذين اتخذوا من دون الله آلهة أخرىٰ من الأصنام وغيرها ويصرفون لها العبادة؛ فإن اللهَ يحفظُ أعمالهم ويحصيها ليجازيهم عليها، وما أنت بموكَّل ولا بمكلَّفٍ بإلزامهم بالهدىٰ والصلاح؛ فأنت ليس عليك إلاَّ البلاغ والتبيين لأمور الدين.

[٧] ثم اعلم يانبي الله أنه كما أوحينا إلىٰ الأنبياء من قبلك أوحينا إليك قرآنًا عربيًّا بلسان فصيح وهو لسان قومك؛ لتنذر أهل مكة ومن حولها من القرىٰ وسائر الناس، وتخوفهم عما سيجري يوم القيامة لكي يستعدوا له بالعمل الصالح، ويوم القيامة الذي هو يوم الحشر واقع لا ريب فيه؛ حيث تجتمع فيه الخلائق للحساب، ثم ينقسمون بعد الحساب إلىٰ فريقين، فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وفريق في السعير، وهم الذين كفروا بالله وكذبوا المرسلين؛ ثم يذهب كل فريق إما إلىٰ الجنة أو إلىٰ النار.

[٨] وبعد أن بيَّن جل وعلا أن الناس سوف ينقسمون يوم القيامة إلىٰ فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير؛ بيَّن سبحانه بأنه لو شاء لجعلهم جميعًا علىٰ الهداية والتقوىٰ كالملائكة، ولكن اقتضت حكمته جل في علاه بأن جعلهم مختارين؛ ليتميز المهتدي من الضال؛ فمن اختار الهدىٰ دخل في رحمة الله ونجىٰ مع الناجين، ومن اتبع الهوىٰ والشيطان فهم الضالون الظالمون أنفسهم بالشرك والمعاصي، وهؤلاء ما لهم من ولي يتولىٰ أمورهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله تعالىٰ.

[٩] ثم أنكر جل وعلا علىٰ المشركين اتخاذهم أولياء يعبدونهم من دون الله، يرجون نفعهم ويخافون ضرهم، وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط وأشنعه؛ فليعلموا بأن الله هو الولي الحق الذي يملك الضر والنفع، وهو المتفرّد بالإحياء والإماتة، وهو سبحانه علىٰ كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[١٠] ثم بيَّن جل وعلا للمؤمنين عند اختلافهم في شيء من أمور دينهم فعليهم الرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ واعلموا أن ذلكم الله ربي وربكم عليه وحده توكلت في جميع أموري، وإليه أرجع في جميع شؤون حياتي.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وأحمد في المسند (٢١٥١٦).

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ
لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا
وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ
فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ
ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ
ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[١١] يخبر جل وعلا أنه خالق السماوات والأرض ومبدعهما من العدم، وأنه جعل لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، وخلق لكم من الأنعام أصنافًا من الذكور والإناث، وهو سبحانه الذي يبثّكم وينشركم ويكثّركم، ليس كمثله شيء من الأشياء، فلا يماثله ولا يشابهه شيء، وهو السميع لجميع الأصوات والحركات، البصير بأعمال العباد وأحوالهم.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وغيرها من الآيات دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، فَنَصِفُ الله جل وعلا بما وصف به نفسه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

[١٢] ثم أخبر جل وعلا أنه وحده الذي في يده وتحت تصرفه مفاتيح أرزاق العباد من المطر والنبات وغير ذلك، وأنه وحده من يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه اختبارًا هل يشكر أم يكفر؟، ويضيقه علىٰ من يشاء ابتلاءً هل يصبر أم يتسخط علىٰ أقدار الله؟ كل ذلك بحسب ما تقتضيه حكمته جل في علاه، إنه سبحانه بكل شيء عليم، لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

[١٣] ثم ذكر جل وعلا أكبر نعمة أنعم بها علىٰ عباده أن شرع لهم أفضل الأديان وبيَّنه ووضَّحه وهو دين الإسلام، الذي أوحاه الله إلىٰ عبده ورسوله محمد ﷺ، ووصىٰ به نوحًا وإبراهيم وعيسىٰ وموسىٰ عليهم السلام، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل؛ حيث وصاهم أن يقيموا الدين بالتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، وأن لا يختلفوا في هذا الدين كما اختلف اليهود والنصارىٰ؛ فضلوا وزاغوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، ولقد شق وعظم علىٰ المشركين ما تدعونهم إليه من التوحيد، وترك الشرك والمعاصي، واعلموا أن الله يختار لرسالته من يشاء من عباده، وأنه يوفق للعمل إليه من يرجع إلىٰ طاعته ويقبل علىٰ عبادته.

[١٤] ثم ذكر جل وعلا أن اليهود والنصارىٰ تفرقوا شيعًا وأحزابًا بعد أن جاءهم العلم وفهموه، وقامت عليهم الحُجَّة؛ ولكنهم تفرقوا حسب الأهواء والرغبات، وما حملهم علىٰ هذا التفرق والاختلاف إلا البغي والعناد والحسد، ولولا كلمة سبقت من ربك يانبي الله بتأخير العذاب عنهم إلىٰ أجل حدده جل وعلا عنده؛ لَقُضِيَ بينهم بتعجيل العذاب الذي يستأصلهم بسبب هذا الاختلاف، وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل من بعد هؤلاء المختلفين في الحق لفي شك من هذا القرآن ومن الدين والإيمان، وهذا الشك أوقعهم في الريبة والاختلاف المذموم.

[١٥] ثم أمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن يدعو لهذا الدين الذي أوحاه إليه ووصَّىٰ به أولي العزم من الرسل من قبله، وأن يستقيم ويثبت عليه كما أمره جل في علاه، ولا شك أنه ﷺ متفانٍ في الدعوة ومخلص فيها، ثم أمره أن لا يتبع أهواء هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، وفي هذا تحذير للأمة من اتباع الأهواء والرغبات الشخصية، وقل يانبي الله لهؤلاء المشركين: لقد صدَّقت بجميع الكتب التي أنزلها الله علىٰ الأنبياء من قبلي، وأمرتُ أن أعدل بينكم في الحكم، واعلموا أن الله هو خالقنا وخالقكم، وأنَّ لنا ثواب أعمالنا الصالحة، وعليكم جزاء أعمالكم، فلا نُسأل عن أعمالكم، ولا تُسألون عن أعمالنا، لا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم يوم القيامة فقد ظهر الحق وزهق الباطل، إن الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، وإليه سبحانه وحده المرجع والمآب؛ فيجازي كلًّا بما يستحق، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وحينئذٍ سيعلم الكفار أي منقلب ينقلبون.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِىُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

[١٦] يخبر جل وعلا أن اليهود والنصارىٰ الذين يخاصمون ويناقشون في دين الله بالباطل ليدحضوا به الحق ويصدون الناس عن الإيمان، من بعد ما استجاب الناس لهذا الدين؛ مع أن الحق انتشر وآمن به خلق كثير؛ فإن حجتهم ومجادلتهم باطلة لا قيمة لها عند من عرفوا الحق وعند ربهم؛ حيث جادلوا وقالوا: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم؛ فهؤلاء عليهم غضب من الله في الدنيا، وعذاب أليم شديد يوم القيامة.

[١٧] ثم أخبر جل وعلا أنه هو الذي أنزل القرآن العظيم علىٰ نبيه محمد ﷺ بالحق، ولا شك أنه كله حق وصدق ويقين، وأنزل معه الميزان لإقامة الحق والعدل بين الناس في الأرض، ثم قال جل شأنه مخوفًا المستعجلين لقيام الساعة والمنكرين لها: وما يدريك - يامن تستعجل قيام الساعة - لعل موعدها قريب؟، وفي ذلك تنبيه للعاقل أن يستعد لها.

[١٨] وهذه الساعة يستعجل بها الذين يجحدونها ولا يصدقون بقيامها، أما الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ فمُشفِقون وَجِلون خائفون من قيامها؛ لعلمهم ما فيها من الأهوال والشدائد، ولعلمهم اليقينيّ أنها آتية لا ريب ولا شكَّ فيها، ثم أخبر بأن أولئك الذين يخاصمون ويجادلون في قيام الساعة مخاصمة شكٍّ وريبة؛ لفي ضلال بيِّن بعيد عن الحق والصواب.

[١٩] ثم بين جل وعلا أنه كثير اللطْفِ بعباده، بالغ الرأفة والرحمة بهم، يرزق ويوسع علىٰ من يشاء بحسب اقتضاء حكمته ولطفه، وهو سبحانه القويّ القادر علىٰ فعل كل شيء، العزيز الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٢٠] واعلموا أيها الناس أن من كان يريد بعمله أجر الآخرة وثوابها، فَأَخْلَصَ لله في عمله؛ فهذا يعطيه الله ثواب عمله مضاعفًا الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعافٍ كثيرة، أما من كان يريد بعمله الدنيا وزينتها، فيعطيه نصيبَه الذي قُسِمَ له منها، وليس له في الآخرة أجرٌ ولا حظٌّ، ولا نصيب.

وقد قُيد هذا الإطلاق في قوله تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء:١٨].

[٢١] ثم يسأل جل وعلا سؤال تقريع وتهديد: هل لهؤلاء المشركين من قريش وغيرهم شركاء يعبدونهم من دون الله؛ فيشرعون ويخترعون لهم دينًا من عند أنفسهم -لم يشرعْهُ الله-، فيبيحون لهم الشرك، ويحرمون عليهم الحلال، ويحلون لهم الحرام؟!! ولولا الأجل المسمىٰ والموعد المحدد الذي ضربه الله لإهلاكهم؛ لعجَّل الله بالقضاء والفصل بين الرسل وأتباعهم من المؤمنين فنجَّاهم، وبين المشركين ومن يعبدونهم من دون الله فأهلكهم وأبادهم، واعلموا أن الظالمين المجاوزين حدودَهم بالشرك والمعاصي لهم عذابٌ أليمٌ موجعٌ في جهنم.

[٢٢] وفي ذلك اليوم العظيم ترىٰ الظالمين أنفسهم بالشرك والمعاصي وجلين مما عملوا من السيئات والقبائح، خائفين من عاقبة ما كسبت أيديهم، وجزاء ما عملوا واقعٌ بهم، نازلٌ عليهم لا محالة، أما الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله ﷺ، وعملوا الأعمال الصالحة من الواجبات والمستحبَّات، وامتثلوا الأوامر واجتنبوا النواهي؛ فأولئك في بساتين الجنات الخضراء، وحدائقها الغناء، لهم ما يتمنون وما يطلبون، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، لهم كلّ ذلك عند ربهم الرحمن الرحيم، الذي يرضىٰ عنهم ولا يسخط عليهم أبدًا، ذلك هو الفضل الكبير الذي تفضل الله تعالىٰ به عليهم.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ
قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ
ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ
﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

[٢٣] واعلموا أن ذلك الفضل الكبير والنعيم المقيم بُشْرىٰ عظيمة يبشر الله بها عباده الذين آمنوا به، وصدقوا رسوله ﷺ واتبعوه، وعملوا الأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها، ثم أمر سبحانه نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين: لا أطلب منكم أجْرًا مقابل دعوتي إياكم للتوحيد والإيمان؛ إلا أن تحفظوا حق القرابة التي بيني وبينكم وحق القرابة التي بينكم أنتم، وأن لا تؤذوني، وأن تمنعوا أذىٰ الناس عني، ثم أخبر سبحانه أن من يكتسب حسنةً يضاعف له أجرها عشر أضعاف إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعافٍ كثيرة، وإن الله كثير المغفرة لمن تاب واستغفر، شكور لعباده -مع غناه عنهم جل في علاه-، يكافؤهم علىٰ طاعاتهم ويحسن إليهم.

[٢٤] ثم بين سبحانه أن من مزاعم هؤلاء المشركين أنهم يقولون: إن محمدًا افترىٰ علىٰ الله كذبًا؛ فادعىٰ أنه رسول من عند الله، وأنه جاء بهذا القرآن الذي اختلقه من قبل نفسه؟؛ فأجاب جل في علاه علىٰ افترائهم هذا فقال: اعلم يانبي الله لو حدثتك نفسك أن تفتري علىٰ الله كذبًا لطبع الله علىٰ قلبك فلم تقدر علىٰ ذلك؛ لأن افتراء الكذب علىٰ الله لا يكون إلا ممن طبع الله علىٰ قلبه، ولكنك يانبي الله معصوم من الكذب والافتراء، واعلم أن الله يذهب الباطل ويمحوه، ويثبت الحق، أي: الدين، و يوضحه بكلماته المنزلة منه، التي لا تتبدل ولا تتغير، وبوعده الصادق الذي لا يختلف، إنه سبحانه مطلع علىٰ ما تخفيه صدور العباد من الأسرار والنوايا، لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسيجازي كلًّا بما يستحق.

[٢٥] يخبر جل وعلا أنه بفضله وكرمه ورحمته وشفقته: هو وحده الذي يقبل التوبة النصوح الصادقة الصادرة من عباده المؤمنين بعد وقوعهم في الذنوب والخطايا، وهو سبحانه الذي يعفو عن السيئات ولا يؤاخذ بها من تاب منها، ويمحو أثرها من العيوب، وهو سبحانه الذي يعلم ما تفعلون في السر والعلن من الصالحات والمعاصي، وسيجازيكم علىٰ أعمالكم.

[٢٦] ثم أخبر جل وعلا أن الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات يستجيبون لما يدعوهم الله إليه من الهدىٰ والخير؛ فيمتثلون أمْر الله، فيشكر الله لهم ذلك، ويتقبل منهم، ويزيدهم من فضله، فيقوِّيهم علىٰ فعل الطاعات ويضاعف لهم ثوابها، أما الذين كفروا بالله وجحدوا آياته، وكذَّبوا رُسُلَه؛ ولم يستجيبوا لأمر الله؛ فأولئك لهم عذابٌ شديدٌ مؤلمٌ موجِع.

[٢٧] واعلموا لو أن الله جل وعلا وسَّع الزرق علىٰ جميع عباده؛ لبغَوْا في الأرض وتكبروا، ولغفلوا عن طاعة الله وامتثال أوامره، ولأقبلوا علىٰ شهواتهم وملذَّاتهم، ولكنه سبحانه ينزل عليهم الرزق بقدر ما يشاء بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمتُه، إنه بعباده خبيرٌ بأحوالهم، بصيرٌ بما يُصلِحهم، ويَصْلُحُ لهم.

[٢٨] ثم أخبر جل وعلا أنه هو وحده الذي ينزل المطر الغزير الذي يغيث به البلاد والعباد، من بعدما أيسوا من نزوله، فتنتشر الرحمة، وتعمّ الأرزاق والخيرات والبركات، فيعرف العباد عظم رحمة الله ولطفه بهم بعدما كادوا أن يهلكوا، والله سبحانه هو الوليُّ الذي تولىٰ تدبير شؤون عباده، ويحسن إليهم ويتفضَّل عليهم، وهو الحميد المستحقُّ للحمْدِ علىٰ ما له من الكمال.

[٢٩] ومن آيات الله الدالة علىٰ وحدانيته وكمال قدرته علىٰ البعث والنشور: خلق هذه السماوات والأرض، وإيجادهما من العدم علىٰ غير مثال سابق، وهو سبحانه الذي نشر وفرَّق في السماوات والأرض كل هذه الدواب؛ فالذي خلق وأوجد كل هذه المخلوقات من العدم؛ قادرٌ علىٰ جمْعها وإعادتها بعد موتها مرة أخرىٰ.

[٣٠] واعلموا أيها الناس أن ما أصابكم وحلَّ بكم من بعض المصائب والبلايا؛ فبسبب ما قدَّمته أيديكم من الذنوب والخطايا، والله يعفو عن كثير من ذنوبكم فلا يؤاخذكم بها.

[٣١] ثم حذر جل وعلا الناس من عقابه، فقال: وما أنتم معجزين قدرة الله عليكم، ولا فائتين عليه هربًا في الأرض، وليس لكم أيها الناس مع عجزكم من وليٍّ يتولَّاكم، ولا ناصرٍ ينصركم، ويدفع عنكم ما يضركم، ففروا إلىٰ الله.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ
بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ
ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

[٣٢] يخبر سبحانه وتعالىٰ أن من آياته الدالة علىٰ وحدانيته وكمال قدرته ورحمته وعنايته بعباده: هذه السفن العظيمة التي تجري في البحر، -وكأنها من عظمتها وضخامتها: الجبال العظيمة-.

[٣٣] ثم بين سبحانه أنه لو شاء لأسكن هذه الريح التي هي سبب مباشرٌ لجريان تلك السفن؛ فتتوقف بذلك السفن في البحار، وتظلُّ حركتها راكدة ساكنة، وكذلك مشيئته سبحانه قادرة علىٰ إيقاف هذه السفن وغيرها كالطائرات والسيارات التي تسير بالمحركات، فلا شيء يعجزه سبحانه أن يبطل محركاتها، واعلموا أن في هذه المظاهر من خلق السفن وسيرها في البحار، وتحريك الرياح وسكونها؛ لعبر وعظات لكل صبَّارٍ كثير الصبر علىٰ الطاعات، وكثير الصبر عن المعاصي، وكثير الصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة، شكور كثير الشكر علىٰ نعم الله وآلائه.

[٣٤] ولو شاء جل وعلا لأغرق هذه السفن وأهلك أهلها بما كسبوا من الذنوب واقترفوا من الآثام، ولكن الله يعفو عن كثير من ذنوب أهلها، ويسترها عليهم وينجيهم من الغرق؛ لأن الحساب في الآخرة؛ لأنها دار الحق.

[٣٥] ثم أخبر جل وعلا أن الذين يخاصمون في آيات الله ويمترون فيها بالباطل لتكذيبها وردِّها أنهم ليس لهم منقذٌ يُنقذهم من عذاب الله إذا نزل بهم، وحلَّ بدارهم، وليس لهم فرارٌ ولا مهرب من هذا العذاب.

[٣٦] ثم حقر جل وعلا في متاع الدنيا وزينتها، فقال: وما أُعطيتم من شيءٍ من شهوات الدنيا وملذاتها من غنىٰ وسعة وملك وصحة وعافية؛ فاعلموا أن ذلك متاعٌ قليلٌ ينقضي ويذهب وينقطع ويزول، واعلموا أن ما عند الله من ثواب الآخرة خير من لذات الدنيا الفانية؛ لأنه دائمٌ لا ينقطع، وهو مُعَدٌّ ومُهَيَّأٌ للذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، واعتمدوا بقلوبهم علىٰ الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع ثقتهم الكاملة بالله جل في علاه.

[٣٧] ثم ذكر جل وعلا صفات المؤمنين الذين علىٰ ربهم يتوكلون، فقال: والذين يجتنبون كبائر ما نهىٰ الله عنه وما فحش وقبح من أنواع الذنوب والمعاصي، ومن صفاتهم: أنهم إذا ما غضبوا علىٰ من أساء إليهم فإنهم يكتمون غيظهم ويحلمون عليه.

[٣٨] ومن صفات هؤلاء المؤمنين: أنهم استجابوا لربهم حين دعاهم إلىٰ توحيده وطاعته، وأقاموا الصلاة المفروضة بمواقيتها وشروطها وأنهم يتفاهمون في أمورهم العامة ويناقشونها فحصًا وتمحيصًا حتىٰ يصلوا إلىٰ الأمر الذي يحقق مصالح دينهم ودنياهم، ومن صفاتهم: أنهم يتصدقون في سبيل الله بفضول أموالهم وبزكاتها علىٰ المحتاجين والفقراء.

[٣٩] ومن صفات هؤلاء المؤمنين: أنهم ينتقمون ممن بغىٰ عليهم ظلمًا وعدوانًا؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فلا ينبغي التذلل للطغاة والكفار والظلمة؛ فالانتصار عند البغي واجب، وأما العجز والذلة والمهانة فليست من صفات المؤمنين.

[٤٠] ثم بين جل وعلا أن جزاء سيئة حصلت لك ووقعت عليك من غيرك؛ أن يكون ردُّها بمثلها - دون زيادة أو نقص -، وهذا هو العدل، فمن عفا وصفح عمَّن ظلمه وسامحه؛ فهذا فضلٌ منه وجزاؤه وثوابه عند الله عظيم، والله جل في علاه لا يحب الذين يتجاوزون حدودهم فيبغون علىٰ غيرهم ويظلمونهم، ويعتدون عليهم.

[٤١] ثم أخبر جل وعلا أن من انتصر ممن ظلمه فلا أحد يلومه؛ فيجوز له القصاص دون زيادة؛ لأنه استعمل حقه المشروع.

[٤٢] ثم بين سبحانه أن اللوم والمؤاخذة والعقوبة الشرعية تتوجه علىٰ الذين يبالغون في الثأر لأنفسهم، وكذلك علىٰ الذين يعتدون علىٰ الناس في أعراضهم أو أبدانهم أو أموالهم، ويتجبَّرون في الأرض بالإفساد والإجرام فيها؛ فأولئك لهم عذاب أليم موجع في الدنيا والآخرة.

[٤٣] واعلموا أن من صبر علىٰ ما أصابه من الأذىٰ، واحتسب الأجر عند الله تعالىٰ، وعفا عمن ظلمه، وسامح من اعتدىٰ عليه؛ فهذا ما يحثُّ عليه جل في علاه، وهذا الفعل لا يستطيعه ولا يصبر عليه إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة.

[٤٤] يخبر جل وعلا أن من يضلله الله عن طريق الحق والهدىٰ والنور بسبب كفره وعناده ومحاربته للإسلام فَيُطْبَعُ علىٰ قلبه فليس له من ولي يتولىٰ أمره فيما بعد، ولا ناصر ينصره، وستبصر يانبي الله هؤلاء الكفار يوم القيامة عندما يشاهدون العذاب بأنهم سيندمون أشدَّ الندم وأعظَمَهُ، ويقولون: هل لنا من طريقِ رجْعَةٍ إلىٰ الدنيا لنصحح أخطاءنا؟! فهيهات هيهات.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ
مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟
فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ
أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

[٤٥] وسوف تبصر يانبي الله هؤلاء المشركين يوم القيامة وهم يعرضون علىٰ النار، خاشعين خائفين متواضعين أذلاء حقيرين، يسارقون النظر إلىٰ نار جهنم من عين ضعيفة قد ملأها الرعب والخوف والقلق، وفي هذه الأثناء يقول الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات علي سبيل التحدث بنعمة الله: إن الخاسرين الخسارة الحقيقية الكاملة هم أولئك الظالمون الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي؛ حيث خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا إن الظالمين في عذاب دائم مستمر، لا ينقطع ولا يزول.

[٤٦] وهؤلاء المشركون المُعَذَّبون لم يكن لهم يوم القيامة من معاونين ولا مناصرين يدفعون عنهم عذاب الله، أو يخرجونهم من النار، ومن يضلل الله من الناس -بسبب كفره وعناده وظلمه وفسقه-؛ فلا طريق لهدايته ورَشَادِه.

ومعلوم أن إضلال الله له ليس ابتدائيًّا وإنما جزائيٌّ.

[٤٧] وبعد أن ذكر جل وعلا يوم القيامة، وما فيه من الأهوال والأمور العظام؛ حذر سبحانه عباده منه، وأمر بالاستعداد له، فقال جل شأنه: استجيبوا أيها الناس لربكم بالإيمان به وطاعته، واستعجلوا بهذه الاستجابة من قبل أن يأتي عليكم يوم شديد عصيب، لا يمكن لأحد أن يرده، وهو يوم القيامة، الذي حدد جل في علاه له أجلًا ثابتًا لا يتخلف عنه أبدًا؛ فهذا اليومُ عِلْمُه وعِلْمُ وقته اختص الله به، وفي ذلك اليوم ليس لكم ملجأ تلتجؤون إليه من عذاب الله، ولن تجدوا من ينكر ما ينزل بكم من العذاب فيساعدكم.

[٤٨] فإن أعرض هؤلاء المشركون يانبي الله عمَّا جئتهم به من التوحيد والإيمان؛ فاعلم أن الله لم يرسلك عليهم حفيظًا رقيبًا تحفظ أعمالهم حتىٰ تحاسبهم عليها، فإنه جل وعلا ما أمرك ولا كلَّفك إلا بالبلاغ المبين فقط، واعلموا أن الله سبحانه إذا أنعم علىٰ الإنسان نعمة من صحة بدن، وسعة رزق، وكثرة مالٍ وولد؛ فإنه يفرح بذلك فرحًا شديدًا، وإذا أصابه مرضٌ أو فقرٌ أو مصيبةٌ بسبب ما كسب من الذنوب، وارتكب من الخطايا والعيوب؛ فإنه يكون عظيم الكفر والجحود لنعم الله، سريع التسخط والتأفف، ولا شك أن سلب النعم أو منحها هو ابتلاء من الله؛ لِيُعْلَمَ الشاكر المعترف بفضل الله، من المتذمر الساخط علىٰ أقدار الله.

[٤٩] يخبر جل وعلا أن له وحده ملك السماوات والأرض وما فيهما، وأنه جل شأنه يخلق من الخلق ما يشاء، لا منازع له في ذلك؛ فهو الفعَّال لما يريد ومن ذلك أنه يرزق بعض الناس إناثًا فقط، ويرزق بعضهم ذكورًا فقط.

[٥٠] وأخبر سبحانه أنه يرزق بعض الناس ذكورًا وإناثًا، ويجعل من يشاء من الناس عقيمًا لا يولد له، كل ذلك هبة ومنحة من الله؛ حتىٰ العقم هبة ومنحة منه سبحانه، وأيضًا بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته جل في علاه، إنه سبحانه عليم بأحوال عباده، وما يصلح لهم، قدير علىٰ خلق ما يشاء، لا مكره له ولا معقب لحكمه.

[٥١] ذكر جل وعلا أنواع الوحي علىٰ الرسل؛ فبين سبحانه أنه لا ينبغي لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا عن طريق وحي يوحيه إليه في المنام أو الإلهام، أو يكلمه من وراء حجاب، كما كلم سبحانه موسىٰ عليه السلام، أو يرسل إليه ملكًا كما كان جبريل عليه السلام ينزل علىٰ بعض الرسل فيوحي إليه بإذن الله ما أمره به ربه، واعلموا أن الله سبحانه عليٌّ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه متعالٍ عن صفات النقص والعيب، وأنه حكيم في تدبير شؤون خلقه، وفي كل أقواله وأفعاله.

وفي هذه الآية إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ كما يليق بجلاله وعظمته.

كما يُستدل بهذه الآية أن رؤية الله جل وعلا ممكنة لكن البشر لا يستطيعون رؤيته في الدنيا؛ لأن أجسامهم غير مهيأة لمثل هذه الرؤية، وفي الآخرة يخلق الله البشر خلقًا آخر فيكون لهم القدرة علىٰ رؤيته جل في علاه، ورؤيته هي أكبر نعمة في الجنة، والمعتزلة ينكرون رؤية الله في الدنيا والآخرة.

[٥٢] ثم ختم جل وعلا السورة ممتنًا علىٰ نبيه ﷺ وعلىٰ المؤمنين أنه كما أوحىٰ إلىٰ الأنبياء من قبله، فكذلك أوحىٰ إليه هذا القرآن العظيم، الذي تحيا به القلوب، كما يحيا الجسد بالروح، وما كنت يانبي الله قبل الوحي تعرف ما هو القرآن؟ ولا تعرف ما هو الإيمان؟، ولا تعرف ما هي الشرائع، ولكنه جل في علاه جعل هذا القرآن نورًا وضياءً يهدي به من يشاء من عباده، وإنك يانبي الله لترشد بإذن الله وأمره الناس إلىٰ الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام.

[٥٣] ثم بين سبحانه أن هذا الطريق هو طريق الله الذي له جميع ما في السماوات وما الأرض، لا شريك له في ذلك، وهو وحده الذي ترجع إليه جميع أمور العباد يوم القيامة؛ فيقضي بينهم بالحق والعدل؛ فالحمد لله الذي جعل المرجع والمآب إليه؛ فإنه نعم المولىٰ ونعم النصير.

سورة الزخرف

سورة الزخرف مكية وآياتها تسع وثمانون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] بدأ جل وعلا هذه السورة بالإقسام بهذا الكتاب وهو القرآن الواضح البين؛ لشرفه وعظمته، ولما احتواه من علوم الأولين والآخرين، ومن أوامر ونواهٍ، ومن أمور الدنيا والآخرة، وما فيه من الهدىٰ والنور.

[٣] ثم أخبر جل وعلا أنه جعل هذا القرآن بلغة قريش العربية الفصيحة؛ بحيث لا يخفىٰ علىٰ من رغب في الهدىٰ والصلاح والنجاة، كما أنه جعله جل في علاه كذلك لكي تفهموه وتعقلوا معانيه، وتهتدوا إلىٰ ما فيه من الأحكام السامية والآداب العالية. وهذه الآية هي جواب للقسم في الآية الأولىٰ كما قال صاحب الكشاف.

[٤] ثم أخبر جل وعلا أن هذا القرآن محفوظ عنده في اللوح المحفوظ كسائر الكتب المنزلة علىٰ الرسل، وأنه ذو مكانة عظيمة وشريفة عنده جل في علاه، وأنه يحمل حكمًا بالغة لا يتطرق إليها تبديل أو تغيير.

[٥] ثم إن الله جل وعلا قال لهؤلاء العصاة المعاندين من الكفرة، علىٰ سبيل التأنيب واللوم: أنعرض عنكم أيها المشركون ونترك إنزال القرآن إليكم فلا نذكركم ونحذركم به؛ لأنكم منهمكون في الضلال غارقون في الفساد مصرون علىٰ التمسك بما كان عليه آباؤكم؟ فلن يحصل هذا؛ بل سنستمر في إنزال هذا القرآن علىٰ نبينا محمد ﷺ، ونقيم الحجة عليكم، ومن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ
وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ
وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا
لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

[٦] ثم ذكَّر جل وعلا هؤلاء المشركين بما حصل للأمم التي أرسل إليها الرسل، وذلك تسلية لنبيه ﷺ، فقال جل في علاه: ولقد أرسلنا يانبي الله كثيرًا من الأنبياء في الأمم التي مضت قبل قومك.

[٧] ثم بين سبحانه أن هؤلاء المشركين ما يأتيهم من نبي يأمرهم بتوحيد الله وعبادته إلا استهزؤوا به، وسخروا منه، كاستهزاء قومك بك يانبي الله، فكانت نتيجة فعلهم أن أهلك الله من هم أشد وأكثر قوة من قومك، بسبب كفرهم وطغيانهم، ومضت أخبارهم وصارت مثلًا يُروىٰ؛ وهاأنتم تمرون بآثارهم وتعرفون أخبارهم؛ فاحذروا أن يكون مصيركم مثل مصيرهم.

[٩] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ: ولئن سألت يانبي الله هؤلاء المشركين المكذبين المستهزئين: من الذي خلق السماوات والأرض وأوجدهما من العدم؟! فسوف يقرُّون قائلين: لقد خلقهن الله العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، العليم الذي أحاط علمه بكلّ شيء.

[١٠] وأضاف سبحانه أنه هو الذي ذلَّل لعباده الأرض ومهَّدها وفرَشها وبسطَها، وجعل لهم فيها طُرُقًا يسلكونها إلىٰ حيث يقصدون، لعلهم يهتدون بسلوكها في سيرهم وأسفارهم إلىٰ مقاصدهم وغاياتهم، ولعلهم أيضًا يهتدون إلىٰ مبدع هذا الكون فيؤمنون به ويشكرونه.